الحقيقة المحمدية والعلم الحديث

علم النفس والسعادة الإنسانية

للأستاذ عيسى طه شحيبار

٢

وإذا كان الطب الحديث يعلى من شأن العزل بين المرضى والأصحاء . ومن شأن الحجر الصحى للوافدين على الدولة من غيرها حتى يطمأن إلى سلامتهم من أمراض تنتشر فى بلادهم فقد سبق لتقرير ذلك حكيم الإنسانية الأكبر ورحمتها الكبرى ورحيمها ورءوفها بأمر ربه يقول : ألا لا يوردن ممرض على مصحح ... قال ذلك فى مجال الأبل الصحيحة والجرباء ، والحديث كما ترى مطلق يشمل ذلك وكل نظير له فيما بين الحيوانات أو الإنسان .

ويعلن : إذا سمعتم الطاعون بأرض فلا تدخلوها ، فإذا كنتم فيها فلا تخرجوا منها ولما استشار عمر الصحابة فى الدخول على أرض فيها الطاعون أشاروا عليه بالعودة فقال أبو عبيده أتفر من قضاء الله ياعمر .. قال : لو غيرك قالها يا أبا عبيدة نعم نفر من قضاء الله إلى قضاء الله . وذكر الحديث الذى سبق فقد حدثه به صحابى سمعه من الرسول فى ذلك . .

كذلك كل وباء وكل مرض تشيع فيه العدوى . . ومع هذا لا ينس أن يذكر الناس أنه ليس ثمة عدوى تصيب بنفسها دون إرادة الله العظيم فقال . لا عدوى ، ولا طيرة ثم بين أنه مع هذا ينبغى الفرار من المجذوع وأمثاله فرار الإنسان من الأسد حيث ربط الله الأسباب بمسبباتها . وإن كانت لاتصيب بنفسها وإنما بسابق إرادته وقضائه ، فليفر الناس من قضاء الله ، إلى قدر الله العظيم .. من قضائه فى مجال مرض ظاهر ، إلى قدره فى مجال عافية ظاهرة ، وما خفى من غير ذلك فالله لطيف بعباده .

تلك حكمة بالغة تهدى الناس إلى سعادة آمنة ، وحياة طاهره مباركه .. فهل نجد لها نظيراً فى كالها وهداها . فليدلونا عليها إن كانوا واجدين ..

الشفاء والرحمة :

لقد كانت حياته شفاء وعافية من كل داء ، ورحمته عامة لكل ما يحيط به حتى استحق لقب الرحمة من الرحمن فقال عنه : وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . ولن يخطر على بال مفكر من ألم أو شقاء . فى النفس أو فى العقل أو فى البدن فى الفرد أو فى الجماعة فى الخلق أو فى التفكير إلا وجد عند محمد بلسمه الشافى ورحمته الحانية .

لقد جاء والأمة العربية ترضخ تحت أعباء ثقال من التقاليد الفاسدة ، والعداوات الاجتماعية القاتلة ، والغارات المدمرة ، والأحقاد الدفينة ، والفرقة المتناهية فلم يمض عليه عشرون سنة فى دعوته حتى أعاد للجمع الشتيت وحدته ، وللنفوس صفاءها ، وللقلوب نورهداها ، وللعقول ضياء حكمتها وللأبدان شفاءها وعافيتها ، وللفرد أمنه وطمأنينته ، وللحياة روعتها وجلالها .

فقضى على الحروب والغارات والمنازعات وأبدلهم منها صلات ود ومرحمة معلنا عن شريعة أمته : « مثل المسلمين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الأعضاء بالسهر والحمى » .

وقضى على شرب الخمور والمسكرات ، الذاهبة بنور العقل ، وسكينة العشرة ومصدر كل الخبائث ، كما قضى على عادات الثأر ، وطامن من كبرياء المفاخرة فلا مفاخرة بالآباء فتلك عبية الجاهلية كما يقول ، إنما الرفعة للعلماء والكرماء وللأتقياء فى شريعته كما يقول ، كما قضى على المعاملات الباطلة التى تزرع الأحقاد وتثير الشقاء ، فمن غش فليس منه ، ومن احتكر قوت المسلمين فالله برىء منه ورسوله والمؤمنون ، ومن طفف الكيل والميزان وبخس الناس حقوقهم ويل له ثم ويل ، ومن تتبع عورات المسلمين تتبع الله عوراته حتى يفضحه ، ومن آذى الناس ولو كانوا ذميين تعرض للعقوبات فى الدنيا ، والله ورسوله خصيمه يوم القيامة ، ومن أكل أموال الناس بالباطل فإنما يأكل فى جوفه ناراً وسيصلى سعيرا ، ومن اغتال حقوق اليتامى فقد عرض أبناءه للضياع من بعده أو تحت سمعه وبصره يشقى به ، ومن كذب أو فجر فى خصومته أو ضيع الأمانة ، أو لعب بأوقات الناس وعقولهم فهو من المنافقين ومن انتهك حرمات الناس تعرض لأشد العقوبات فى الدنيا فإن سلم منها هنا أخذته من جميع نواحيه فى الآخرة ، وأبعد الناس عن رحمة الله

وأقربهم إلى عقوبته الظلمة والمجاهرون بالمعاصى ، والمفرقون بين الأحبة ، والملتمسون للبرءاء العيب ، والمشاءون بالنميمة ، ولا يدخل رحمة الله نمام ، وويل لكل همزة لمزة جماع للمال بخيل بالخير ولن يدخل جنة الله متكبر ، وكل عتل جبار ، وأشد الناس عذابا من تركه الناس اتقاء فحشه ، ولن يؤمن من لا يأمن جاره بوائقه ، ومن لا يأمنه الناس ، ولا خير فى مسلم لا يرحم . ولا يألف ولا يؤلف ، ولا خير فى حياة الجهل والجهالة والضعف والذلة والصنعة والجبن ، والحقارة والصغار ، ومطرود من رحمة الله من يثير الفتن والأحقاد بين الناس ، ومن لا يصل رحمه فهو مقطوع من رحمة الله ، مضيع فى ذريته وعمره ، وليس بمؤمن من يمنع عن الناس رفده وخيره ، وآنية بيته ، ومن كانت عنده حوائج الناس فلم يقضها لهم فى أكرم معاملته ، فقد عرض نعم الله عليه للزوال ، ومن حكم فى قوم ، أو ولى شئون جماعة فلم يعدل وأشاع المحاباة والظلم فيهم ، وفتح يده للرشى ، فهو مطرود من رحمة الله والله ورسوله خصيمه يوم القيامة . .

ومن كان شريكا فلا يخن شريكه ومن كان على علم بخير فليدل الناس عليه ومن علم شرا فليبتعد عنه ولا يترك غيره يقع فيه بل يقـــدم لهم النصيحة . .

ومن وقع فى مكروه فلا يضجر ولا يسب الدهر ، ولا يملأ الحياة من حوله حقداً وظلاماً كل ذلك تجد له نصوصاً واضحة ومستفيضة فى النهى عنه فى شريعة الكمال عند محمد الكريم . .

وهكذا كل بغضاء واضطراب ومظهر ألم أو شقاء نهى عنه الرسول الكريم ووضع له فى شريعته من التحذير والإنذار ، أو من العقوبة الآجلة أو العاجلة ما ينتشل به الفرد والجماعة من الشقاء والآلام ، ويقودهم إلى حياة الدعة والسلام والآن لنقرأ له من آيات الرحمة التى جاء بها فى مقابلة هذه الآلام التى حذر منها وأنذر فيها . .

اقرأ قرآنه أو كتب حديثه فستجد نور الرحمة فى كل صفحة من صفحاته . .

أول قرآنه : بسم الله الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم . .

وترددت صفات الرحمة لرب محمد فى القرآن بصورة تجعل الإنسان يكاد يعتقد ألا عذاب .

فنعم الله جارية برحمته . وسعت رحمتى كل شىء . وما بكم من نعمة فمن الله .

وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها . . ألم تروا أن الله أسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة إن الله بالناس لرؤوف رحيم . وكان الله غفورا رحيما . قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا . إنه هو الغفور الرحيم . غافر الذنب وقابل التوب . ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ، فاغفر للذين آمنوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم . والملائكة يسبحون ربهم ويستغفرون لمن فى الأرض ، هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور ، آلر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ، قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين ، وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ، وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين ؟